المختصر
في سيرة خير البشر ﷺ

الطبعة الأولى

١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م

الكويت -الشويخ - شارع الصحافة - مقابل مطابع الرأي العام التجارية،

هاتف: ٢٤٨١٩٠٣٧ - ٢٤٨٤٤٧٤٣ - فاكس ٢٤٨٣٨٤٩٥

الكويت الخالدية: ص.ب: ١٧٠١٢ - الرمز البريدي: ٧٢٤٥١

بدالة المطبوعات 24810010 - الكويت

فرع القاهرة: الأزهر - شارع البيطار - خلف الجامع الأزهر

هاتف: ٠٠٢٠٢٢٤٩٩٨٣٥٦ - ٠٠٢٠١٢٢٦٣٠٤٠٧٥

Website: www.gheras.com

E-Mail: info@gheras-.com

المختصر
في سيرة خير البشر ﷺ

جمع وترتيب

عبد العال سعد عويد الرشيدي

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبيه الأمين محمد بن عبد الله، المبعوث رحمة للعالمين.

وبعد :

فهذا مختصر في سيرة خير البشر ﷺ، مستفاد من أمَّهات كتب السيرة النبوية؛ بقصد تقريب سيرة النبي ﷺ، ومعرفة أهم الأحداث في حياته؛ إذ معرفة ذلك من مقتضى الشهادة له بالرسالة.

واقتصرنا في هذه الرسالة على ما لا بد منه: كنسبه الشريف، ومولده، وموطنه، ومهاجره، وما فتح الله عليه ممَّا وعده به، ووفاته ﷺ بعد أن كَمُلَ الدين، وأتم الله به النعمة، ورضي لنا الإسلام دينا .

هذا، وصلى الله وسلم على نبيه محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

كتبه

عبد العال سعد عويد الرشيدي

أبو يوسف

الكويت

Alrashidi2@gmail.com.

• نسب النبي ﷺ:

هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب «واسم عبدالمطلب: شيبة» بن هاشم «واسم هاشم: عمرو» بن عبد مناف «واسم عبد مناف: المغيرة» بن قُصَيّ «واسم قُصَيّ: زيد» بن كلاب بن مُرَّة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كِنانة بن خُزيمة بن مدركة «واسم مدركة: عامر» بن إلياس بن مُضر بن نِزار بن مَعدّ بن عدنان «وهو من ذرية إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، وإليه ينتمي العرب العدنانيون»(١).

• أقوام العرب

١- العرب البائدة والعاربة

أ- البائدة: هم العرب القدامى الذين انقرضوا تماماً، ولم يمكن الحصول على تفاصيل كافية عن تاريخهم، مثل: عاد ومسكنهم الأحقاف،

(١) وعلى هذا النسب أجمع أهل السير والأنساب، وهو إلى عدنان. ولكن اختلفوا فيما بين عدنان وإسماعيل من الآباء؛ فقيل تسعة آباء، وقيل سبعة، وقيل خمسة عشر. وقال عروة بن الزبير: ما وجدنا من يعرف ما وراء عدنان ولا قحطان إلا تخرصًا. وقال أبو الأسود يتيم بن عروة: سمعت أبا بكر بن أبي حَثَمَة وكان أعلم قريش بأنسابها وأشعارها يقول: ما وجدنا أحداً يعلم ما وراء مَعدّ بن عدنان في شعر شاعر ولا علم عالم. ذكره الذهبي في «سيرة النبي ﷺ (١/ ٢٩)». وقال ابن الجوزي: وعدنان من ولد إسماعيل بغير شك، (المجتبى من المجتنى ٣٩)، وقال ابن كثير: فهذا النسب الذي سقناه إلى عدنان لا مرية فيه ولا نزاع، وهو ثابت بالتواتر والإجماع. «الفصول في سيرة الرسول» (ص٤٧) «زاد المعاد»(١/ ٧٠).

وثمود في الحِجْر، وأَمِيم في بادية أُبار بين عمان والأحقاف، وعَبِيل في يثرب، وطَسْم وجَدِيس مسكنهم اليمامة، والعمالقة وهم قبائل عدة مساكنهم عمان والحجاز وتهامة ونجد وتيماء وبطرة، وجاسم وهي قبيلة تفرعت من العماليق، وجرهم الأولى ومسكنهم باليمن، ووَبَار ومسكنهم أرض وَبَار باليمن . وأمم آخرون لا يعلمهم إلّا الله، كانوا قبل الخليل عليه الصلاة والسلام[١] .

ب- **العاربة**: وهم عرب اليمن الذين نشأ فيهم إسماعيل، كجرهم الثانية .

٢- العرب المستعربة

وهم عرب الحجاز من ذرية إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام .

وفي «صحيح مسلم» من حديث واثلة بن الأسقع قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانة، واصطفى من قريشٍ بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم**»[٢] .

● موقع جزيرة العرب

يحدها غربًا بحر القلزم (البحر الأحمر)، وشبه جزيرة سيناء، وشرقًا: الخليج، وجزء كبير من بلاد العراق الجنوبية، وجنوبًا: بحر العرب، وهو على امتداد لبحر الهند، وشمالاً: بلاد الشام، وجزء من

(١) البداية والنهاية (١/ ١١٣ قصة هود عليه السلام)، تاريخ آداب العرب . للرافعي (١/ ٣٧).

(٢) برقم (٢٢٧٦).

بلاد العراق على اختلاف في بعض هذه الحدود[١] .

● مولد المصطفى المبارك عليه الصلاة والسلام

وُلد -صلوات الله عليه وسلامه- يوم الاثنين، كما رواه البخاري ومسلم في «صحيحيهما» من حديث أبي قتادة، أن أعرابيًّا قال: يا رسول الله، ما تقول في يوم الاثنين؟ فقال ﷺ : «**ذاك يوم وُلِدْتُ فيه وأُنزِل عليَّ فيه**»[٢]، لليلتين خلتا من ربيع الأول عام الفيل[٣] .

---

(١) «معجم البلدان» (٢/ ١٥٩، رقم ٣١١٣) «الموسوعة الفقهية الكويتية» (٣/ ١٢٦) «خصائص جزيرة العرب» لبكر أبو زيد (ص ١٧)، «الرحيق المختوم» (ص ١٥) .

سميت جزيرة العرب من قبيل التوسع، لأن البحر لا يكتنفها إلا من ثلاث نواحيها .

والجزيرة خمسة أقسام :

الأول: اليمن في الجنوب، ويقال لها: الخضراء؛ لما فيها من المزارع والأشجار والمراعي والمياه .

الثاني: العروض، وتشمل البحرين واليمامة، وسميت كذلك لاعتراضها بين اليمن ونجد .

الثالث: تهامة على شاطئ البحر الأحمر ، بين اليمن والحجاز وفيها طريق القوافل إلى الشام .

الرابع: الحجاز بين نجد وتهامة .

الخامس: نجد بين العراق شرقًا، وبادية الشام شمالاً والحجاز غربًا واليمامة جنوبًا . صقع مرتفع طيب الهواء، يلهج الشعراء بذكره، وفيه أرض العالية التي كان يحميها كُليب. انظر: «أدباء العرب» لبطرس البستاني (١/ ٦)

(٢) البخاري (٦٨٠) ومسلم (٤١٩) .

(٣) «سيرة ابن هشام» (١/ ١٥٨)، الفصول (٥٢، ٥٣) .

ومات أبوه وهو حَمْلٌ، وهو المشهور[١].

واسم أمه: آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فِهْر، وأبوها يومئذ سيد بني زهرة نسبًا وشرفًا، قاله ابن هشام[٢].

● مرضعاته

أرضعته «ثُوَيْبة» -جارية أبي لهب عمّه-، مع عمهِ حمزة، ومع أبي سلمة ابن عبد الأسد المخزومي رضي الله عنهما[٣].

---

(١) «زاد المعاد» (١/ ٧٦)، الفصول (٥٣، ٥٤)، البداية والنهاية (٢/ ٢٤٣).

(٢) «سيرة ابن هشام» (١/ ١٥٦).

(٣) اختلف في إسلامها، قال أبو نعيم: لا أعلم أحدًا أثبت إسلامها غير ابن منده (أسد الغابة ٧/ ٤٦ رقم ٦٧٩١).

وقال ابن حجر رحمه الله: وفي باب من أرضع النبي ﷺ من «طبقات ابن سعد» ما يدل على أنها لم تسلم، ولكن لا يدفع قول ابن منده بهذا وأخرج ابن سعد من طريق بَرَّة بنت أبي تَجَرَاةَ: أن أول من أرضع رسول الله ﷺ «ثُوَيْبة» بلبن ابن لها يقال له: مسروح، أياماً قبل أن تقدم حليمة وأرضعت قبله حمزة وبعده أبا سلمة بن عبد الأسد. وقال ابن سعد: أخبرنا الواقدي عن غير واحد من أهل العلم قالوا: كانت «ثُوَيْبة» مرضعة رسول الله ﷺ يصلها وهو بمكة، وكانت خديجة تكرمها وهي على ملك أبي لهب، وسألته أن يبيعها لها فامتنع؛ فلما هاجر رسول الله ﷺ أعتقها أبو لهب، وكان رسول الله ﷺ يبعث إليها بصلة وبكسوة، حتى جاء الخبر أنها ماتت سنة سبع مرجعه من خيبر، ومات ابنها مسروح قبلها، ولم أقف في شيء من الطرق على إسلام ابنها مسروح وهو محتمل. «الإصابة» (٤/ ٢٥٧ رقم ٢١٣) «طبقات ابن سعد» (١/ ٨٧).

فقد روى البخاري في «صحيحه» من حديث أم حبيبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قلت يا رسول الله، انْكحْ أختي بنت أبي سُفيان. قال: «أوتحبين ذلك؟». قلت: لستُ لك بمُخْلِيةٍ، وأَحَبُّ من شركني في خيرٍ أختي. قال: «إن ذلك لا يحلُّ لي». فقلت: يا رسول الله، إنا لنتحدث أنك تريد أن تنكح دُرَّة بنت أبي سَلَمَة. فقال: «والله، لو لم تكن ربيبتي في حجري ما حَلَّت لي؛ إنها ابنة أخي من الرضاعة، أرضعتني وأبا سَلَمة ثُوَيبةُ، فلا تَعرِضْنَ عليَّ بناتكن، ولا أخواتكنَّ»[١].

ثم أرضعته «حليمة بنت أبي ذُؤيب السعدية»، وأخذته معها إلى أرضها؛ فأقام معها في بني سعد نحو أربع سنين، وشُقَّ فؤاده، هناك فردته إلى أمِّه.

• حادثة شق الصدر

قال الإمام الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

فكان يَشِبُّ في يومه شَباب الصبيّ في شهر، ويشبُّ في الشهر شباب الصبي في سنة، فقالت - أي حليمة -: فقدمنا على أمّه فقلنا لها رُدِّي علينا ابني، فإنا خشينا عليه وباء مكة. قالت: ونحن أضنُّ شيء به مما رأينا من بركته. قالت: ارجعا به. فمكث عندنا شهرين، فبينا هو يلعب وأخوه خلف البيوت يرعيان بَهْمًا لنا، إذ جاء أخوه يشتدّ، فقال: أدْرِكَا أخي قد جاءه رجلان فشقا بطنَه فخرجنا نشتدّ، فأتيناه وهو قائم منتقع

(١) رواه البخاري (٥١٠١)، وانظر: «البداية والنهاية» (٢/ ٢٥٤)، «سيرة النبي ﷺ» للذهبي (١/ ٤٩).

اللَّوْن، فاعتنقه أبوه وأنا، ثم قال: ما لك يا بُنيَّ؟! قال: «أتاني رجلان فأضجعاني، ثم شقا بطني، فوالله ما أدري ما صنعا». فرجعنا به. قالت: قال أبوه: يا حليمة، ما أرى هذا الغلام إلاّ قد أصيب، فانطلقي فَلنَرُدَّه إلى أهله . فرجعنا به إليها، فقالت: ما رَدَّكما به؟ فقلت: كفلناه وأدَّينا الحق، ثم تخوَّفنا عليه الأحداثَ . فقالت: والله، ما ذاك بكما، فأخْبِراني خبركما. فما زالت بنا حتى أخبرناها، قالت: أفتخوفتما عليه؟ كلا والله، إن لابني هذا شأنًا؛ إني حملتُ به فلم أحمل حَمْلاً قط كان أخف منه، ولا أعظم بركةً[1] .

فخرجتْ به أمُّه إلى المدينة، تزور أخوالَه، فتوفيت وهي راجعة إلى مكة، وله من العمر ست سنين ومائة يوم، وقيل: ابن أربع سنين[2] .

وقد روى مسلم في «صحيحه»، أن رسول الله ﷺ لما مرَّ بالأبواء وهو ذاهب إلى مكةَ عام الفتح استأذن ربّه في زيارة قبر أمه، فأذن له، فبكى وأبكى من حوله[3] . وكان معه ألفُ مقنَّع، أي بالحديد.

فلما ماتت أمُّه حضنته أمُّ أيمن -بركة- وهي مولاتُه ورثها من أبيه . فلما كبر أعتقها وزوجها مولاه زيد بن حارثة فولدت له أسامة بن زيد رضي الله عنهما وكفلهُ جده عبد المطلب، وتوفي ولرسول الله ﷺ ثمان سنوات[4] .

---

(١) «سيرة النبي ﷺ » للذهبي (١/ ٥٤)، وانظر: «البداية والنهاية» (٢/ ٢٥٥).
(٢) «زاد المعاد» (١/ ٧٦) الفصول (٥٥) «البداية والنهاية» (٢/ ٢٥٩) .
(٣) مسلم (٩٧٦) .
(٤) «زاد المعاد» (١/ ٧٦) الفصول (٥٦) .

وقال ابن سعد في «الطبقات»: فلما توفيت - أي أمه - قبضه إليه جده عبد المطلب وضمّه ورقَّ عليه رِقَّةً لم يَرقَّها على ولده، وكان يُقربه منه، ويدنيه، ويدخل عليه إذا خلا وإذا نام، وكان يجلس على فراشه، فيقول عبد المطلب إذا رأى ذلك: دعوا ابني إنه ليُؤنِسُ مُلكًا[(١)] .

وأوصى عبد المطلب به إلى عمّه أبي طالب؛ لأنه كان شقيق عبد الله، فكَفَلَه، وحاطه أتم حياطة، ونصره حين بعثه الله أعز نصر، مع أنه كان مستمرًّا على شركه إلى أن مات، فخفف الله بذلك من عذابه، كما صح الحديث بذلك[(٢)] .

• ذكر عمومته ﷺ

الحارث، والزبير، وأبو طالب، وحمزة، وأبو لهب، والمقوم، وضرار، والعباس، وَقُثَم، وحَجْل واسمه المغيرة[(٣)] .

• ذكر عمّاته

أم حكيم وهي البيضاء، وبرّة، وعاتكة، وصفية، وأروى، وأميمة . فأما صفية فأسلمت من غير خلاف وروت عن رسول الله ﷺ ، واختلفوا في إسلام عاتكة وأروى[(٤)] .

---

(١) «الطبقات الكبرى» (١/ ٩٥).

(٢) «الفصول في السيرة» (ص٩٣) .

(٣) «سيرة ابن هشام»(١/ ٦١)، زاد المعاد (١/ ١٠٤) الفصول (٨٤) .

(٤) المجتبى (٤١) الإصابة (٤/ ٢٢٧) زاد المعاد (١/ ١٠٤) الفصول (٨٤).

• زواجه من خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

فلَّما بلغ خمسًا وعشرين سنة، خرج إلى الشام في تجارة، فوصل إلى «بصرى» [١].

ثم رجع فتزوج عَقِبَ رجوعه خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

قال الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ: وكانت لبيبة حازمة، فبعثت إليه تقول: يا بن عمّي، إني قد رغبتُ فيك، لقَرابتك، وأمانتك، وصِدقك، وحُسْن خُلُقِك. ثم عرضت عليه نفسها، فقال ذلك لأعمامه، فجاء معه حمزة عمُّه حتى دخل على خُوَيْلد، فخطبها منه، وأصدقها النبي ﷺ عشرين بَكْرًا، فلم يتزوج عليها حتى ماتت[٢].

وأولاده كلهم من خديجة سوى إبراهيم، وهم: القاسم، وعبد الله، والطيب والطاهر وقيل هما لقبان لعبد الله، وماتوا صغارًا رُضعًا قبل المبعث وقيل عبدالله وُلِد بعد النبوة، ورُقية، وزينب، وأم كلثوم وفاطمة رضي الله عنهم أجمعين.

فرقية وأم كلثوم زوْجتا عثمان بن عفان، وزينب زوجة أبي العاص بن الربيع بن عبد شمس، وفاطمة زوجة علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[٣].

---

(١) بلدة تقع جنوب شرقي دمشق. تبعد عنها ١٢٤ كم.
(٢) «سيرة النبي ﷺ» للذهبي (١/ ٦٢ - ٦٣).
(٣) «البداية والنهاية» (٢/ ٢٧٣)، المجتبى (ص٤٢)، السيرة للذهبي (١/ ٦٣).

• ذكر مبعثه ﷺ

أول ما بُدئَ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلاّ جاءت مثل فَلَقِ الصبح، ثم حُبِّب إلى رسول الله ﷺ الخُلوةُ، والتعبدُ لربه، وكان يخلو بغار حراء؛ يتعبد فيه الليالي ذوات العدد؛ ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها .

حتى جاءه الحق وهو في غار حراء؛ فجاءه المَلَكَ فقال: اقرأ، قال: «ما أنا بقارئ، قال فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال اقرأ، فقلت: «ما أنا بقارئ»، فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجَهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ. فأخذني فغطني الثالثة، ثُم أرسلني فقال: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ (١) خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ (٢) ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴾. فرجع بها رسول الله يرجف فؤاده، فدخل على خديجة بنت خويلد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فقال: «زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي». فزملوه، حتى ذهب عنه الروع، فقال لخديجة وأخبرها الخبر: «لقد خشيت على نفسي» فقالت خديجة: كلا والله ما يخزيك الله أبدًا، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكلَّ، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق . فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد ابن عبد العزى - ابن عم خديجة - وكان امرءًا تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخًا كبيرًا قد عمي، فقالت له خديجة: يا بن عمَّ اسمع من ابن أخيك. فقال له ورقة أي يا بن أخي: ماذا ترى؟ فأخبره

رسول الله ﷺ خبر ما رأى، فقال له ورقة: هذا الناموس الذي أُنزل على موسى، يا ليتني فيها جَذَعًا، ليتني أكون حيًّا إذ يخرجك قومك. فقال رسول الله ﷺ: «أومُخرجيّ هم؟». قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلاّ عودي، وإن يدركْني يومك أنصُرْكَ نصرًا مؤزرًا. ثم لم يَنْشَبْ ورقة أن توفي، وفتر الوحي[(١)].

وخديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أول خلق الله أسلمَ بإجماع المسلمين، لم يتقدَّمها رَجلٌ ولا امرأة. قاله الذهبي.

● فترة الوحي

ثم بعد ذلك فتر الوحي وتوقف نزول القرآن ثم نزل: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴾.

أما مدة فترة الوحي: فروى ابن سعد في «الطبقات» عن ابن عباس ما يفيد أنها أيامًا وهذا الذي يترجح[(٢)].

وقيل فترة الوحي ثلاث سنين وقيل سنتان ونصف.

وقال ابن حجر: وليس المراد بفترة الوحي المقدرة بثلاث سنين وهي ما بين نزول ﴿ٱقْرَأْ﴾ و ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴾ عدم مجيء جبريل إليه، بل تأخر نزول القرآن فقط[(٣)].

---

(١) «صحيح البخاري» (٣).
(٢) «طبقات ابن سعد» (١/ ٩٤).
(٣)«فتح الباري» (١/ ٣٧ ح٣).

• بيان أقسام الوحي

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهو يذكر مراتب الوحي:

إحداها: الرُّؤيا الصادقة، وكانت مبدأ وحيه ﷺ ، وكان لا يرى رؤيا إلاّ جاءت مثل فَلَقِ الصُّبَح.

الثانية: ما كان يُلقيه الملَكُ في روعه وقلبه من غير أن يراه.

الثالثة: أنه ﷺ كان يتمثل له الملَكُ رجلاً، فيخاطبه؛ حتى يَعِيَ عنه ما يقول له، وفي هذه المرتبة كان يراه الصحابة أحيانًا؛ كما كان جبريل عليه السلام يأتي النبي في صورة دحية الكلبي رضي الله عنه.

الرابعة: أنه كان يأتيه في مثل صَلْصَلَةِ الجرس، وكان أشدَّه عليه، فَيَتَلَبّسُ به الملك حتى إن جبينه ليتفصد عرقًا في اليوم الشديد البرد، وحتى إن راحلته لتَبْرُك به إلى الأرض إذا كان راكبها، ولقد جاءه الوحيُ مرةً كذلك وفخذه على فخذ زيد بن ثابت فثقلت عليه حتى كادت ترضُّها.

الخامسة: أنه يَرَى الملك في صورته التي خُلق عليها، فَيُوحِي إليه ما شاء الله أن يُوحِيَه، وهذا وقع له مرتين .

السادسة: ما أوحاه الله وهو فوق السموات ليلة الإسراء والمعراج من فرض الصلاة وغيرها .

السابعة: كلام الله له منه إليه بلا واسطة مَلَك، كما كلم الله موسى بن عمران -عليه السلام-، وهذه المرتبة هي ثابتة لموسى قطعاً بنص القرآن، وثبوتها لنبينا ﷺ كما هو في حديث الإسراء[١].

(١) «زاد المعاد» (١/ ٧٨) .

• الدعوة سرًّا

بدأ النبي ﷺ يدعو إلى عبادة الله وحده، ونَبْذِ الأصنام، ولكنه كان يدعو إلى ذلك سرًّا حذراً من وقع المفاجأة على قريش التي كانت متعصبة لشركها ووثنيتها .

وكان في أوائل من دخل الإسلام: خديجة بنت خويلد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وعليُّ ابن أبي طالب، وزيد بن حارثة، وأبو بكر الصديق، وعثمان بن عفان، والزبير بن العوام، وعبد الرحمن بن عوف وغيرهم .

وهؤلاء كانوا يلتقون بالنبي ﷺ سرًّا وكان أصحاب رسول الله ﷺ إذا أرادوا أن يُصَلُّوا ذهبوا في الشعاب فاستخفوا بصلاتهم من قومهم[(١)] .

• الجهر بالدعوة في «السنة الثالثة من البعثة»

قال ابن إسحاق: دخل الناس في الإسلام أرسالاً من الرجال والنساء، حتى فشا ذكر الإسلام بمكة، وتحدث به، ثم إن الله عز وجل أمر رسول الله ﷺ أن يصدع بما جاءه منه، وأن ينادِيَ الناس بأمره، وأن يدعوَ إليه، فقال جل وعلا لنبيه: ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ وقال تعالى ﴿ وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ﴾ . فلما نادى رسول الله ﷺ قومه بالإسلام وصدع به كما أمره الله، لم يبعد منه قومُه ولم يردوا عليه حتى ذكر آلهتهم وعابها، فلمَّا فعل ذلك أعظموه وناكروه، وأجمعوا خلافه وعداوته[(٢)] .

---

(١) «سيرة ابن هشام» (١/ ٢٦٣) .

(٢) «سيرة ابن هشام» (١/ ٢٦٢) .

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ولما اشتد أذى المشركين على مَنْ آمن وفتنوا منهم جماعة، حتى إنهم كانوا يضربونهم، ويُلقونهم في الحرِّ، ويضعون الصخرة العظيمةَ على صدر أحدهم في شدة الحر، حتى إن أحدهم إذا أطلِقَ لا يستطيع أن يجلسَ من شدة الألم . فيقولون لأحدهم: اللاتُ إلهكَ من دُون إلهِك . فيقول مُكْرَهًا: نعم . وحتى إن الجُعَل[١] ليمر، فيقولون: وهذا إلهكَ من دون الله . فيقول نعم . ومر الخبيثُ عدو الله أبو جهل عمرو بن هشام بسُميةَ أم عمار وهي تُعذب وزوجها وابنها، فطعنها بحربةٍ في فرجها فقتلها رضي الله عنها، وعن ابنها وزوجها[٢] .

• الهجرة إلى الحبشة في «السنة الخامسة من البعثة»

فلما رأى رسول الله ﷺ ما يُصيب أصحابه من البلاء وما هو فيه من العافية؛ لمكانة عمه أبي طالب، وأنه لا يقدر على أن يمنعهم مما هم فيه من البلاء، قال لهم: «لو خرجتم إلى أرض الحبشة؛ فإن بها مَلِكًا لا يُظلم عنده أحد، وهي أرض صِدْقٍ، حتى يجعل الله لكم فرجًا مما أنتم فيه» . فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله ﷺ إلى أرض الحبشة؛ مخافة الفتنة، وفراراً إلى الله بدينه، فكانت أول هجرة في الإسلام فهاجر من المسلمين اثنا عشر رجلاً وأربع نسوة منهم: عثمان ابن عفان، وهو أول من خرج ومعه زوجته رقية بنت رسول الله ﷺ فأقاموا في الحبشة في أحسن جوار[٣] .

---

(١) الجُعَل: دابة سوداء من دواب الأرض (لسان العرب: مادة جعل ٢/ ٣٠٢).
(٢) الفصول (ص٩٩).
(٣)« زاد المعاد» (١/ ٩٧)، «البداية والنهاية» (٤/ ٦٤) .

• الحصار في الشعب في (السنة السابعة من البعثة) وهجرة الحبشة الثانية وسببها، وخبر الصحيفة

لما ضاقت الحيل بكفار قريش، ولم يستطيعوا أن يوقفوا النبي ﷺ عن الدعوة، عرضوا على بني عبد مناف الذين منهم رسول الله ﷺ دية مضاعفة على أن يسلموهم النبي ﷺ ، فأبوا عليهم ذلك، ثم عرضوا على أبي طالب أن يعطوه سيدًا من شبابهم يتبناه ويسلم إليهم ابن أخيه، فقال: عجبًا لكم، تعطونني ابنكم أغذوه لكم وأعطيكم ابني تقتلونه! ثم أسلم حمزةُ عمُّ رسول الله ﷺ وجماعة كثيرون وفشا الإسلام، فلما رأت قريش ذلك ساءها، وأجمعوا على أن يتعاقَدُوا على بني هاشم وبني المطلب ابني عبد مناف: ألا يُبايعوهم، ولا يناكحوهم، ولا يكلموهم ولا يُجالسوهم، حتى يُسلموا إليهم رسول الله ﷺ. وكتبوا بذلك صحيفة وعلقوها في سقف الكعبة، يقال: إن الذي كتبها منصور بن عكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف. ويقال بل النضر ابن حارث، فدعا عليه النبي ﷺ فشُلَّت يده .

فانحاز بنو هاشم وبنو المطلب مؤمنهم وكافرهم - إلاّ أبا لهب وولده - في شعب أبي طالب محصورين مضيقًا عليهم جِدًّا نحو ثلاث سنين، وبعد دخول الرسول ﷺ وقومه الشِّعْب أمر جميع المسلمين أن يهاجروا إلى الحبشة حتى يساعد بعضهم بعضًا، فهاجر بعضهم وكانوا نحو ثلاثة وثمانين رجلاً وثمان نسوة .

• خروجه ﷺ إلى الطائف السنة العاشرة من البعثة

فلَّما نُقِضت الصحيفة وافق موتُ خديجة رضي الله عنها، وموتُ أبي طالب، وكان بينهما ثلاثة أيام؛ فاشتد البلاءُ على رسول الله ﷺ من سُفهاء قومه.

فخرج رسول الله ﷺ إلى الطائف؛ لكي يُؤوه، وينصروه على قومه، ويمنعوه منهم، ودعاهم إلى الله عز وجل فلم يجيبوه إلى شيء من الذي طلب، وآذوه أذًى عظيمًا، لم ينل منه قومه أكثر مما نالوا منه.

فرجع عنهم، ودخل مكة في جوار المطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف، وجعل يدعو إلى الله عز وجل؛ فأسلم الطفيل بن عمرو الدوسي، ودعا له رسول الله ﷺ أن يجعل الله له آيةً؛ فجعل في وجهه نورًا، فقال يا رسول الله، أخشى أن يقولُوا: هذا مُثْلَة. فدعا له، فصار النور، في سوطه، فهو معروف بذي النور ودعا الطفيلُ قومَه إلى الله، فأسلم بعضهم، وأقام في بلاده، فلما فتح الله على رسوله خيبر، قدم بهم نحوًا من ثمانين بيتًا من دوس فأسهم لهم مع المسلمين[(١)].

• إسلام الأنصار وبيعة العقبة الأولى في السنة الحادية عشرة من البعثة

ثم إن رسول الله ﷺ لقي في السنة العاشرة عند العقبة في الموسم نفرًا من الأنصار، كلهم من الخزرج، وهم: أبو أمامة أسعد بن زرارة بن عُدَس، وعوف بن الحارث بن رفاعة، وهو ابن عفراء، ورافع بن مالك

(١) «سيرة ابن هشام» (١/ ٣٩٢)، «الإصابة» (٢/ ٢٢٥رقم ٤٢٥٤)، «الاستيعاب» (٢/ ٣١١رقم ١٢١٣)، «الفصول» (١٠٥) .

ابن العجلان، وقطبة بن عامر بن حديدة، وعقبة بن عامر بن نابي، وجابر بن عبد الله بن رئاب، فدعاهم رسول الله ﷺ إلى الإسلام فأسلموا مبادرة إلى الخير ثم رجعوا إلى المدينة فدعوا إلى الإسلام، ففشا الإسلام فيها حتى لم تبق دارٌ إلاّ وقد دخلها الإسلام. ثم جاءوا في السنة التي تليها وبايعوه عند العقبة البيعة الأولى، وتسمى بيعة النساء، وذلك قبل أن تُفْرَضَ الحرب عليهم[١].

• بيعة العقبة الثانية في «السنة الثانية عشرة من البعثة»

وقد قدم المسلمون فيها من المدينة حجَّاجًا مع قومهم، وكانوا على شركهم فلما كانت ليلة العقبة - الثلثُ الأول منها - تسلل إلى رسول الله ﷺ ثلاثةٌ وسبعون رجلاً وامرأتان، فبايعوا رسول الله ﷺ خُفْيةً من قومهم ومن كفار مكة. قال ابن إسحاق: وكانت بيعة الحرب على أن يمنعوه مما يمنعون منه نساءَهم وأبناءَهم.

• هجرة النبي ﷺ في «السنة الثالثة عشرة من البعثة»

تتابع أصحاب رسول الله ﷺ بالهجرة وأقام هو بمكة ينتظر ما يؤمر به من ذلك، ولم يتخلف معه إلاّ علي بن أبي طالب، وأبو بكر الصديق، ومن اعتقله المشركون كرهًا.

قال ابن إسحاق رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وكان أبو بكر كثيرًا ما يستأذن رسول الله ﷺ في الهجرة، فيقول له رسول الله: «**لاَ تَعْجَلْ؛ لَعَلَّ اللهَ يَجْعَلُ لَكَ**

---

(١) «سيرة ابن هشام» (٢/ ٤٣١)، «الفصول» (٧٣) «نور اليقين» (١١٩) .

صَاحِبًا» . فيطمع أبو بكر أن يكون هو[(١)] .

فحبس أبو بكر نفسه على رسول الله ﷺ ليصحبه، وعلف راحلتين كانتا عنده ورق السمر أربعة أشهر .

قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : فبينما نحن يوماً جلوس في بيت أبي بكر في نحر الظهيرة، قال قائل لأبي بكر: هذا رسول الله ﷺ متقنعاً في ساعة لم يكن يَأتينا فيها. فقال أبو بكر: فِدَاءٌ له أبي وَأمِّي، والله ما جاء به في هذه الساعة إلاّ أمرٌ. فَدَخل فقال النبي ﷺ لأبي بكر: «أَخْرِجْ مَن عِندَكَ»، فقال أبو بكر: إنما هُمْ أهْلُكَ، بأبي أنت يا رسول الله. قال: «**فإنِّي قد أُذنَ لي في الخروج**». فقال أبو بكر: الصحابَة بأبي أنت يا رسول الله؟ قال رسول الله ﷺ: «**نعم**»[(٢)] .

فلما كانت الليلة التي هَمَّ المشركون بالفتك به، وكانوا قد اجتمعوا في دار الندوة على أن يأخذوا من كل قبيلة فتى شابًّا جلدًا ثم يعطى كل منهم سيفًا صارمًا، ثم يعمدوا إلى النبي ﷺ فيضربوه ضربة رجل واحد فيقتلوه، كي لا يقدر بنو عبد مناف على حربهم جميعًا ويضيع دمه بين القبائل .

ولكن الله حفظ رسوله؛ فخرج رسول الله ﷺ من بينهم ولم يره منهم أحدٌ، وذَرَّ على رأس كل واحد منهم ترابًا.

ثم خلص إلى بيت أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فخرجَا من خَوْخَة في دار أبي بكر

---

(١) «سيرة ابن هشام» (٢/ ٤٨٠) .

(٢) «رواه البخاري» (٣/ ٦٩ح٣٩٠٥) وانظر: «سيرة ابن هشام» (٢/ ٤٨٤) .

ليلاً، وقد استأجرا عبد الله بن أُرَيْقِط، وكان هاديًا خِرِّيتًا، ماهراً في الدلالة إلى أرض المدينة، وأَمَّناه على ذلك، مع أنه كان على دين قومه، وسلَّما إليه راحلتيهما، وواعداه غار ثور بعد ثلاث، فلما كانا في الغار عَمَّى الله على قريش خبرهما، فلم يدروا أين ذهبا.

وكان عامر بن فهيرة يريح عليهما غنماً لأبي بكر، وكانت أسماءُ ابنة أبي بكر تحمل لهما الزاد إلى الغار، وكان عبد الله بن أبي بكر يستمع إلى ما يُقال بمكة، ثم يذهب إليهما بذلك.

فلما قدما المدينة كان أولَ من بَصر به رجلٌ من اليهود، وكان على سطح أطمة فنادى بأعلى صوته: يا بني قَيْلَة، هذا جدُّكم الذي تنتظرون. فخرج الأنصار في سلاحهم، فتَلقوه وحيّوْه بتحية النبوة، ونزل رسول الله ﷺ بقباء على كلثوم بن الهَدْم، وقيل: بل على سعد بن خيثمة، وجاء المسلمون يُسلِّمُون على رسول الله ﷺ، وأكثرهم لم يره بعد، فكان بعضُهم أو أكثرهم يظنه أبا بكر لكثرة شَيبه، فلما اشتد الحر، قام أبو بكر بثوب يظلل على رسول الله ﷺ؛ فعرفوا حينئذ رسول الله ﷺ[(١)].

وأدركه علي بن أبي طالب ﷺ في قباء بعد أن أدى عنه الودائع إلى أصحابها، وأسس النبي ﷺ هناك مسجد قباء وهو المسجد الذي وصفه الله بقوله: ﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِۚ﴾ [التوبة: ١٠٨].

(١) «رواه البخاري». انظر «الفتح» (٧/ ٢٨٢ح ٣٩٠٦) «الفصول» (١١٧) .

وصلى فيه رسول الله ﷺ وواصل سيره إلى المدينة على راحلته، يمشي الناس معه حتى بركت عند مسجد رسول الله ﷺ بالمدينة وكان مِرْبَداً للتمرِ لسهيل وسهل، غلامين يتيمين في حجر سعد بن زرارة، فقال رسول الله ﷺ حين بركت به راحلته: «هذا إن شاء الله المنزل ». ثم دعا رسول الله ﷺ الغلامين فساوَمَهما بالمِرْبَدِ؛ ليتخذه مسجدًا، فقالا، بل نهبه لك يا رسول الله، فأبى رسول الله ﷺ أن يقبله منهما هبة حتى ابتاعه منهما، ثم بناه مسجداً .

ووادع رسول الله ﷺ مَنْ بالمدينة من اليهود، وكتب بذلك كتابًا وأسلم حَبْرهم، عبد الله بن سلام رضي الله عنه، وكفَر عامتُهُم(١) .

وكانوا ثلاث قبائل، بنو قَيْنُقَاع، وبنو النَّضير، وبنو قُرَيظة .

وآخى رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار، فكانوا يتوارثون بهذا الإخاء في ابتداء الإسلام إرثًا مقدمًا على القرابة قال السُّهَيْلِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: في سبب إخاء النبي ﷺ للصحابة حين نزلوا المدينة: «لِيُذْهِبَ عَنْهُمْ وَحْشَةَ الْغُرْبَةِ ويُؤنسهم من مفارقة الأهل والعشيرة، ويشد أزر بعضهم ببعض، فلما عز الإسلام واجتمع الشملُ، وذهبت الوحشة أَنْزَلَ الله سبحانه: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۚ﴾ [الأنفال: ٧٥] ثم جعل المؤمنين كلهم إخوة فقال: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠](٢) .

---

(١)«فتح الباري» (٦/ ٤١٧ح٣٣٢٩)، «سيرة ابن هشام» (٢/ ٥١٦) «الفصول» (١٢٠).
(٢) «الروض الأنف» . للسهيلي (٤/ ١٧٨).

• فرض الجهاد

لما استقر رسول الله بين أظهر الأنصار، وتكفلوا بنصره ومنعه من الأسود والأحمر، رمتهم العربُ قاطبةً عن قوسٍ واحدة وتعرضوا لهم من كل جانب، وكان الله سبحانه قد أذن للمسلمين في الجهاد في «سورة الحج» في قوله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ [الحج: ٣٩].

ثم لَمَّا صاروا في المدينة، وصارت لهم شوْكةٌ وعَضُدٌ، كَتَبَ الله عليهم الجهاد، كما قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة ٢١٦].

• غزوة بدر الكبرى في رمضان من «السنة الثانية من الهجرة»

بلغ رسول الله ﷺ أن عيرًا مقبلة من الشام بصحبة أبي سفيان صخر ابن حرب، في ثلاثين أو أربعين رجلاً من قريش، وهي عِيرٌ عظيمةٌ تحمل أموالاً جزيلة لقريش، فندب رسول الله ﷺ الناس للخروج إليها، وأمر من كان ظهره حاضرًا بالنهوض ولم يحتفل لها احتفالاً كثيرًا إلاّ أنه خرج في ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً . واستخلف على المدينة وعلى الصلاة ابن أم مكتوم، ولما كان بالروحاء ردّ أبا لبابة بن عبد المنذر واستعمله على المدينة، وكان النصر فيها للمسلمين، وقتل في تلك

الموقعة سبعون من صناديد المشركين، وأسر سبعون، واستشهد من المسلمين أربعة عشر رجلاً .

وبعدها أخرج النبي ﷺ بني قينقاع من المدينة وأجلاهم، عنها لما نقضوا العهد .

• غزوة أحد في «السنة الثالثة من الهجرة»:[١]

وكان الذي هاج غزوة أُحُد بين رسول الله ﷺ ومشركي قريش وقعة بدر، وقتل من قتل ببدر من أشراف قريش ورؤسائهم[٢].

ولما استدارت السَّنةُ كانت مكة قد استكملت عدتها، واجتمع إليها من المشركين ثلاثة آلاف مقاتل من قريش، والحلفاء، والأحابيش، ورأى قادة الجيش أن يستصحبوا معهم النساء؛ حتى يكون ذلك أبلغ في استمالة الرجال دون أن تصاب حرماتهم وأعراضهم[٣].

ثم إن النبي ﷺ خرج من المدينة في ألف من الصحابة، وقيل سبعمائة، حتى إذا كانوا بِالشَّوْطِ بين المدينة وأُحُدٍ، انخذل عنه عبد الله بن أُبَيٍّ بن سلول بثلث الناس، وقال: أطاعهم وعصاني، وما ندري علامَ نقتل أنفسنا ها هنا أيها الناس؟ فرجع بمن اتبعه من قومه من أهل النفاق والريب.

ومضى رسول الله ﷺ ومن معه حتى نزل الشِّعْب من أُحُدٍ في عدوة الوادي إلى الجبل، فجعل ظهره وعسكره إلى أُحُدٍ وأَمَّر على الرُّمَاة عبد الله بن جبير وهم خمسون رجلاً، فقال: «انضحوا عنا الخيل بالنَّبل، لا يأتونا من خلفنا إن كانت لنا أو علينا، فاثبت مكانك لا نؤتينَّ

(١) أحُدٌ الجبل المعروف بالمدينة: سُمي بهذا الاسم لتوحُّده وانقطاعه عن جبال أُخر هُنَاك، وقال فيه رسول الله ﷺ: «هذا جَبلٌ يحبُّنا ونحبه» «الروض الأنف» (٥/ ٢٩٦).
(٢) «تاريخ الطبري» (٢/ ٤٩٩).
(٣) «سيرة ابن هشام» (٣/ ٦٤).

من قِبَلَك»، وقال: «**إذا رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم**» .

فلما بدأت المواجهة هُزم المشركون، فجعلوا يقولون: الغنيمةَ الغنيمةَ، فقال عبد الله بن جبير: مهلاً، أما علمتم ما عهد إليكم رسول الله ﷺ ؟! فأبوا، فانطلقوا، فلما أتوهم صرف الله وجوههم؛ فأصيب من المسلمين سبعون رجلاً [(١)] .

وقال ابن جرير: فلما أُتي المسلمون من خلفهم انكشفوا، وأصاب منهم المشركون، وكان المسلمون لما أصابهم ما أصابهم من البلاء أثلاثًا؛ ثلث قتيل، وثلث جريح، وثلث منهزم، وأصيبت رباعية رسول الله ﷺ السفلى، وشقت شفته، وكُلِم في وَجْنتَيْه وجبهته في أصول شعره، وترَس دون رسول الله ﷺ أبو دُجانة بنفسه، يقع النبل في ظهره، وهو مُنْحَنٍ عليه، حتى كَثُرَتْ فيه النَّبْل[(٢)] .

وكان طلحة رضي الله عنه يقاتل دون رسول الله ﷺ، يقول أبو بكر: رأيت رجلاً يقاتل مع رسول الله ﷺ دونه ووراءه؛ يحميه، وكان أبو بكر رضي الله عنه إذا ذكر يوم أحد بكى، ثم قال: كان ذاك يوماً، كان كله يوم طلحة .

ويقول أبو بكر رضي الله عنه بعد انتهاء المعركة: أتينا طلحة في بعض تلك الجفار[(٣)] فإذا به بضع وسبعون، أو أقل أو أكثر، بين طعنةٍ ورمية

(١) «تاريخ الطبري» (٢/٥٠٨) «تاريخ الإسلام» للذهبي (المغازي ١٧٣) .
(٢) تاريخ الطبري (٢/ ٥١٤) .
(٣) جمع جفر : البئر الواسعة .

وضربة، وإذا قد قطعت إصبعه، فأصلحنا من شأنه .

وانتهت المعركة وقد قُتِل من المسلمين سبعون، وقتل من المشركين اثنان وعشرون وقيل سبعة وثلاثون . والله أعلم .

فلما رجع النبي ﷺ من أُحُدٍ أجْلا بني النضير من المدينة، سنة أربع من الهجرة؛ لما همُّوا بقتله ﷺ حين أتاهم في شأن دية قتيلين .

● غزوة الخندق في «السنة الخامسة من الهجرة»

جاءت الأحزابُ؛ قريشٌ، وغطفانُ، ومَنْ معهم؛ لحصار المدينة، وكان اليهود يؤازرونهم ويظاهرونهم على المسلمين؛ فحاصروا المدينة حتى اشتد الكرب على المسلمين، فأرسل الله عليهم ريحًا؛ فانصرفوا مخذولين، وكان النبي ﷺ قد بنى الخندق حول المدينة.

وبعدها توجه إلى بني قريظة فحاصرهم وقاتلهم لخيانتهم .

● صلح الحديبية في «السنة السادسة من الهجرة»

وفي السنة السادسة توجه النبي ﷺ ومعه أصحابه إلى مكة معتمرين، يسوقون الهدي، فاعترضتهم قريش فصالحهم النبي ﷺ عشر سنين، وعلى ألا يدخل مكة هذه السنة ويدخلها السنة القادمة.

● فتح خيبر في «السنة السابعة من الهجرة»

فتح النبي ﷺ خيبر، وفيها رجع أصحابه من الحبشة، وعلى رأسهم جعفر بن أبي طالب.

• فتح مكة في السنة «الثامنة من الهجرة»

إذا أراد الله أمرًا هيّأ أسبابه وأزال موانعه؛ فقد كان عليه الصلاة والسلام يعلم أنه لن يدخل العرب في الإسلام والطاعة إلاّ إذا استسلمت قريش، وأنه لن تنقاد البلاد حتى تنقاد مكة، فكان يتوق لفتحها ولكن كان يمنعه من ذلك العهود التي أعطاها قريشًا في الحديبية، وهو سيد من وَفَّى ﷺ.

قال ابن إسحاق رَحِمَهُ اللَّهُ: فلما كان صلح الحديبية ودخلت خزاعة في عهد النبي ﷺ، ودخلت بكر في عهد قريش، اغتنمت بكر تلك الهدنة؛ فأرادوا أن يصيبوا من خزاعة ثأرهم بقتل بني الأسود، فخرج نوفل بن معاوية الدِّيلي بمن تبعه من بكر، حتى بيّت خزاعة على ماء الوَتِير فأصابوا منهم رجلاً، وتحاوزوا واقتتلوا، وأعانت قريش بني بكر على خزاعة بالسلاح، وساعدهم بعضهم بنفسه خفية(١).

قال الواقدي: وكان ممَّن أعان من قريش بني بكر على خزاعة ليلتئذٍ بأنفسهم متنكرين: صفوانُ بن أمية، وعكرمة بن أبي جهل، وسُهَيْل بن عمرو، مع غيرهم وعبيدهم.

فلما تظاهرت بنو بكر وقريش على خُزاعة، كان ذلك نقضًا للهدنة التي بينهم وبين رسول الله ﷺ، وخرج عمرو بن سالم الخزاعي، فقدم

(١) «سيرة ابن هشام» (٤/ ٣٨٩)، «تاريخ الطبري» (٣/ ٤٥)، «تاريخ الإسلام» للذهبي (المغازي ص ٥٢١) «الكامل في التاريخ» (٢/ ٢٣٩).

على النبي ﷺ في طائفةٍ مستغيثين به، فوقف عمرو عليه وهو جالس في المسجد بين ظهْراني الناس، فقال:

اللهُمَّ إنِّي ناشدٌ محمداً ... حِلفَ أبينا وأبيه الأتلدا
فوالِدًا كُنَّا وكُنتَ وَلدًا ... ثَمَّت أسلَمنا فلم ننزع يدا
فانصُر رسولَ الله نصرًا أَعْتَدا ... وادْعُ عباد الله يأتوا مددا
فيهم رسولُ الله قد تجردا ... أبيض مثل البدر يَنْمِي صُعُدَا[١]
إن سِيمَ خَسْفاً وَجْهُهُ تَرَبّدَا ... في فَيْلَقٍ كالبَحْر يجْري مُزْبدَا
إنّ قريشاً أَخلفوك الموْعِدَا ... ونَقَضُوا ميثاقك المُؤَكَّدا
وجعلوا لي في كَدَاء رُصَّدَا ... وزعموا أن لستُ أَدْعُو أَحَدا
وَهُمْ أذَلُّ وأَقَلُّ عَدَدَا ... هُمْ بَيَّتُونَا بالوَتِيرِ هُجَّدَا
فقتَّلونا رُكَّعًا وَسُجّدَا

فقال رسول الله ﷺ: «**نُصِرْتَ يا عمرو بنَ سالم**»[٢].

فلما علمت قريش ذلك بعثوا أبا سفيان؛ ليشد العقد الذي بينهم وبين محمد ﷺ ، ويزيد في الأجل وذهب أبو سفيان حتى قدم المدينة وجاء رسول الله ﷺ، فعرض عليه ما جاء له، فلم يجبه النبي ﷺ بكلمة واحدة، ثم ذهب إلى أبي بكر، وعمر، وعلي، فأبوا أن يكلموا رسول الله ﷺ ، بل قال له عمر وأغلظ له: والله لو لم أجد إلا الذَّرَّ لقاتلتكم به وطلب من فاطمة بنت رسول الله ﷺ ورضي الله عنها -وهي جالسة

(١) ينمي صعدا: أي يرتفع ويزيد صعودا. انظر «النهاية في غريب الحديث» (٥/ ١٢١).
(٢) «تاريخ الطبري» (٣/ ٤٤) .

عند علي ﵁ والحسن غلام يدب بين يديها - أن تأمر ولدها الحسن أن يجير بين الناس، فقالت: ما بلغ بُني ذلك وما يجير أحدًا على رسول الله ﷺ .

ثم شرع رسول الله ﷺ في الجهاز إلى مكة وسأل الله أن يُعمِّي على قريش الأخبار؛ فاستجاب له ربُّه تبارك وتعالى[١] .

فخرج لعشر خلون من رمضان في عشرة آلاف مقاتل من المهاجرين، والأنصار، وقبائل العرب .

واستخلف ﷺ على المدينة أبا رُهم كلثوم بن حصين .

وصام النبي ﷺ حتى بلغ ماءً يقال له: الكُدَيْد بين عُسْفَانَ وأَمَج من طريق مكة، فأفطر بعد العصر على راحلته، ليراه الناسُ وأرخصَ للناس في الفطر ثم عزم في ذلك[٢] .

وقد جعل ﷺ أبا عبيدة بن الجراح ﵁ على المقدمة، وخالد بن الوليد ﵁ على الميمنة، والزبير بن العوام ﵁ على الميسرة، ورسول الله ﷺ بالقلب .

وأعطى الراية الزبير، وأمره أن يدخل من كَدَاءٍ من أعلى مكة، وأن تُنصب الرايةُ بالحجون، وأمر خالداً أن يدخل من كُدَيّ من أسفل مكة، وأمرهم بقتال من قاتلهم، ولم يجد أحد منهم مقاومة، إلاّ خالد بن الوليد فقد لقيه جمع من المشركين فيهم عكرمة بن أبي جهل، وصفوان

---

(١) «تاريخ الطبري» (٣/ ٤٦) «الفصول» (ص١٧٤) .
(٢) «سيرة ابن هشام» (٤/ ٤٠٠) «الفصول» (ص١٧٦) .

ابن أمية، فقاتلهم خالد فقتل منهم أربعة وعشرين من قريش، وأربعة نفر من هذيل، ورأى رسول الله ﷺ بارقة السيوف من بعيد؛ فأنكر ذلك فقيل له إنه خالد قوتل فقاتل، فقال: «**قضاء الله خير**»[١].

ودخل رسول الله ﷺ مكة وهو راكب على ناقته، وعلى رأسه المِغْفَر، ورأسه يكاد يمس مقدمة الرحل؛ من تواضعه لربه عز وجل[٢].

وقد أمَّن الناسَ، فقال ﷺ: «**من دخل دار أبي سُفيان فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد الحرام فهو آمن**»[٣].

وأمر رسول الله ﷺ قادة جيوشه ألا يقتُلوا إلاّ عبدالله بن خطل، وعبد الله بن سعد بن أبي السرح، وعكرمة بن أبي جهل، ومقيس بن صبابة، والحويرث بن نُقَيْذ، وقيَّنتين لابن خطل، -وكانتا جاريتين تتغنيان دائماً بهجاء النبي ﷺ - وسارة مولاة لبعض بني عبد المطلب، فإنه أهدر دماءهم وأمر بقتلهم حيث وُجدوا، حتى ولو كانوا متعلقين بأستار الكعبة.

فأما عبد الله بن أخطل فَأُدْرِكَ وهو متعلق بأستار الكعبة، فاستبق إليه سعيد بن حرِيث وعمار بن ياسر، فسبق سعيدٌ عمارًا وكان أشب الرجلين فقتله[٤].

---

(١) «طبقات ابن سعد» (٢/ ٣١٧) .

(٢) رواه البخاري (٥٨٠٨) ومسلم (١٣٥٧). المغفر: ما يلبس على الرأس من درع حديد .

(٣) رواه النسائي (٤٠٧٨).

(٤) رواه البخاري (١٨٤٦) ومسلم (١٣٥٧) زاد المعاد (٣/ ٤١١) الصارم المسلول (١١٠) .

وأما مِقْيَسُ بن صُبابة فَأَدْرَكَهُ الناس في السوق فقتلوه. وأما عكرمة بن أبي جهل فركب البحر فأصابتهم ريح عاصفة فقال أصحاب السفينة: أخلصوا، فإن آلهتكم لا تغني عنكم شيئًا ها هنا. فقال عكرمة: والله، لئن لم ينجني من البحر إلا الإخلاص، لا ينجيني في البرِّ غيره، اللهم إنَّ لك عليَّ عهدًا إن أنت عافيتني مما أنا فيه، أن آتى محمدًا ﷺ حتى أضع يدي في يده، فلأجدنه عفوًّا كريمًا. فجاء فأسلم.

وأما عبد الله بن سعد بن أبي السرح فإنه اختبأ عند عثمان بن عفان، فلما دعا رسول الله ﷺ الناس إلى البيعة جاء به حتى أوقفه على النبي ﷺ، قال يا رسول الله بايع عبد الله قال: فرفع رأسه فنظر إليه ثلاثا، كل ذلك يأبى، فبايعه بعد ثلاث، ثم أقبل على أصحابه فقال: «**أما كان فيكم رجل رشيد يقوم إلى هذا حيث رآني كففت يدي عن بيعته فيقتله؟**» فقالوا: وما يدرينا يا رسول الله ما في نفسك، هلا أومأت إلينا بعينك؟ قال: «إنه لا ينبغي لنبي أن يكون له خَائِنَةُ الأَعْيُنِ».

وقُتلت إحدى القينتين، وكمنت - أي اختبأت - الأخرى حتى استؤمن لها.

وأما سارة، فأمر بها رسول الله ﷺ يوم الفتح أن تقتل، فقتلت يومئذ. وآمن الباقون .

ونزل ﷺ مكة واغتسل في بيت أم هانئ، وصلى ثمان ركعات؛ يُسَلِّم من كل ركعتين(١)، فقيل إنها صلاة الضحى. وقيل: صلاة الفتح(٢).

---

(١) رواه البخاري (١١٧٦) مسلم (٣٣٦) من حديث أم هاني .

(٢) قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: فظنها من ظنها صلاة الضحى ، وإنما هذه صلاة الفتح=

وخرج ﷺ إلى البيت فطاف به طواف قدوم، ولم يَسْعَ، ولم يكن معتمرًا، ودعا بالمفتاح، فدخل البيت وأمر بإلقاء الصور ومحوها منه، وأذَّن بلال يومئذ على ظهر الكعبة، ثم رد ﷺ المفتاح إلى عثمان بن أبي طلحة وإلى ابن عمه شيبة بن أبي عثمان بن أبي طلحة. وأقرهم على السِّدانة[1]، وكان الفتح لعشر بقين من رمضان، من السنة الثامنة .

• غزوة حنين وحصار الطائف في السنة الثامنة من الهجرة

خرج النبي ﷺ بعد فتح مكة وتوجه إلى الطائف، وكانت هوازن قد جمعت له الجموع؛ فكانت غزوة حنين، ثم حاصر الطائف عشرين يومًا؛ ثم رجع عنها .

• غزوة تبوك في السنة التاسعة من الهجرة

غزا ﷺ غزوة تبوك وهي غزوة العسرة، وبعدها دخلت الطائف في الإسلام، وجاءت وفود العرب من كل مكان يبايعون رسول الله ﷺ ، وفي السنة العاشرة حج ﷺ حجة الوداع، ومعه أكثر من مائة ألف من المسلمين، وفي أول السنة الحادية عشرة مرض ﷺ مرض الوفاة.

= وكان أمراء الإسلام إذا فتحوا حِصناً أو بلداً صلوا عَقِيبَ الفتح هذه الصلاة؛ اقتداءً برسول الله ﷺ ، فإنها قالت – أي أم هانئ – ما رأيته صلاها قبلها ولا بعدها . والله أعلم . «زاد المعاد» (٣/ ٤١٠)

(١) السدانة: خدمة الكعبة وتولي أمرها وفتح بابها وإغلاقه. «لسان العرب ٦/ ٢٢٠ مادة سدن».

• مرض الرسول ﷺ ووفاته في السنة الحادية عشرة من الهجرة

لما أتم النبيُّ عليه الصلاة والسلام ما كُلِّفَ به وأدى ما أؤتمن عليه وهدى الله به أمته، اختاره الله عز وجل للرفيق الأعلى فجلس النبي ﷺ على المنبر مرة، وكان فيما قال: «**إن عبداً خيره الله بين أن يؤتيه زهرة الدنيا، وبين ما عنده؛ فاختار ما عنده**» فبكى أبو بكر وقال: يا رسول الله فديناك بآبائنا وأمهاتنا(١).

ابتدئ برسول الله ﷺ مرضه في أواخر صفر سنة إحدى عشرة في بيت زينب بنت جحش، وكان يدور على نسائه حتى اشتد مرضه في بيت ميمونة، فجمع نساءه فاستأذنهن أن يتمرّض في بيت عائشة واستمر مرضه ثلاثة عشر يومًا، ولما دخل بيت عائشة اشتد عليه وجعه، وقال «**هريقوا عليَّ من سبع قِرب لم تُحْلَلْ أَوْكِيَتَهُنَّ؛ لعلي أعهد إلى الناس**(٢)» ثم صببنا عليه الماء حتى طفق يقول «**حسبكم حسبكم**» .

وخرج رسول الله ﷺ عاصبًا رأسه حتى جلس على المنبر، فكان أول ما تكلم به أنه صلى على أصحاب أحد، واستغفر لهم فأكثر الصلاة عليهم وأمر بإنفاذ بعث أسامة رضي الله عنه، وأوصى بالأنصار خيرًا فقال: ««**أوصيكم بالأنصار، فإنهم كَرِشي وعَيبتي، وقد قَضَوا الذي عليهم، وبقي الذي لهم، فاقبلوا من محسنهم، وتجاوزوا عن مسيئهم**»»(٣) .

---

(١) رواه البخاري (٣٦٤٥)، ومسلم (٢٣٨٢).

(٢) رواه البخاري (١٩٨).

(٣) رواه البخاري (٣٧٩٩) ومعنى كَرِشي وعَيْبَتي»: أراد أنهم بطانته وموضع سرَّه وأمانته، والذين يعتمد عليهم في أموره. انظر: «النهاية في غريب الحديث» (٣/ ٣٢٧)، (٤/ ١٦٣).

كما كان من آخر وصاياه، قوله عليه الصلاة والسلام: «**الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم**»[١].

وقال: «**أخرجوا اليهود والنصارى من جزيرة العرب**»[٢].

فلما بدأ الوجع برسول الله ﷺ تربص جيش أسامة رضي الله عنه لينظروا ما يكون من أمره عليه الصلاة والسلام.

قال ابن إسحاق: إن أسامة بن زيد قال لما ثقل رسول الله ﷺ: هبطت وهبط الناس معي إلى المدينة، فدخلت على رسول الله ﷺ وقد أُصْمِتَ فلا يتكلم، فجعل يرفع يده إلى السماء ثم يضعها عليَّ، فأعرف أنه يدعو لي.

وقبض رسول الله ﷺ ضحى يوم الاثنين من ربيع الأول فالمشهور أنه في الثاني عشر منه[٣].

وكان له عليه الصلاة والسلام يوم مات ثلاث وستون سنة[٤].

فصلوات الله عليه وسلامه ما تعاقب الليل والنهار، وغردت الأطيار، وأزهرت الأشجار.

تم بحمد الله

---

(١) رواه أحمد (٢٦٦٥٧). وصححها الألباني في «الإرواء» (٧/ ٢٣٨).

(٢) رواه البزار في «مسنده»، (١/ ٣٤٩) (٢٣٠)، والبيهقي في «المعرفة»(١٨٥٨٣). وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١/ ١٠٦).

(٣) صحيح البخاري (٦٨٠) ومسلم (٤١٩)، الفصول (٢٢٠).

قال ابن جرير - رحمه الله - أما اليوم الذي مات فيه رسول الله ﷺ فلا خلاف بين أهل العلم بالأخبار فيه أنه يوم الاثنين من شهر ربيع الأول غير انه أختلف في أي الأثانين كان موته ﷺ.

(٤) رواه البخاري (٣٥٣٦) ومسلم (٢٣٤٩) من حديث عائشة رضي الله عنها.

فهرس الموضوعات